وقال تعالى في سورة الحج: «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا
البائس الفقير - إلى قوله - وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله
غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر
الله فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله
على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين» الآيات. وظاهر من سياق الآيات
المذكورة أن المراد حنفاء لله غير مشركين به في ذبائح الأنعام التي أحلت لكم والتي شرع لكم أن تتقربوا بها إلى الله وأنه
يأمر بها إلى بيته وأن المراد الإخلاص له تعالى في ذلك كله وفي أعمال الحج كلها وفي العبادات والأعمال جميعا. فالذين يتقربون
إلى غير الله بشيء من الأنعام هم غير حنفاء لله بل هم مشركون به تعالى فالذين يتقربون إلى أصحاب القبور وإلى المشائخ المنتسبين
القرابين المختلفة من الأنعام وغيرها كما ليسوا بمخلصين وليسوا بناجين من الشرك ومن رجس الأوثان وقول الزور الاعتقادي
فما أوضح هذه الآيات في الدعوة إلى الإخلاص والتوحيد المطلق العام: الإخلاص والتوحيد في الضحايا والذبائح وأعمال الحج كلها
وفي كل الأعمال. فأين يذهب المشركون بعد هذه القوارع القرآنية؟ ومن العجيب أنك تقرأ الآيات بل السور
العديدة فلا تجد فيها سوى الله وسوى ذكره وسوى اسمه وسوى التوحيد له والانقطاع إليه جملة فلا تجد
ذكر نبي ولا ولي ولا صالح ولا شيخ لا حي ولا ميت فعند ذكر الصلاة والأمر بها تجد الله وحده وعند ذكر
الصيام والزكاة تجد الله وحده وعند ذكر الحج والذبائح والمناسك تجد الله وحده وعند ذكر جميع الأعمال
والعبادات تجد الله وحده وتجد اسمه وحده والإخلاص له وحده والتقرب إليه وحده فلا تجد مخلوقا لا رسولا
ولا نبيا ولا صالحا ولا شيخا ولا ملكا ولا عبدا من العباد بل لا تجد أمامك إلا التوحيد المطلق والإخلاص
المطلق تجد توحيدا تفنى فيه جميع المخلوقات علويها وسفليها وتجد إخلاصا تذهب
فيه المقامات والمكانات وتتساقط من سواتها وعلياتها إلى حيث لا تجد إلا الإله والعبادة والإ
خلاص له فهنا يذكر الله الحج وأعماله ويذكر الأنعام التي تقرب إلى الله ويتقرب بها إليه ثم اقرأ بعد:
«فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به» فيكون المراد بالشرك غير كونه
به هو الأنعام التي تذبحونها ولا في الحج ولا في عبادة من العبادات. وهذا هو التوحيد المطلق والإخلاص
المطلق الذي تتضاءل تحت جلاله مقامات العبيد وتتلاشى بإزائه كل كبرياء وكل معبود من دونه أو توجهات إلى من دونه
وقال تعالى: «إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر» أي كما أعطيناك الخير الكثير في
الدنيا وفي الأخرى فصل لربك وحده وانحر له وحده فلا تصل لسواه لأنه لم يعطك شيئا من الكوثر
الذي أعطيناك ولا تنحر إلا له وحده لأنه لم يتفضل عليك
بهذا الخير الكثير الذي تفضلنا به عليك فاجعل صلواتك كلها ونحائرك كلها لمن أعطاك الكوثر
ولمن أعطاك الخير الكثير دون من لم يعطك شيئا فإن المعطي الواهب هو الذي يستحق أن تجعل شكرانك والحمد
دون من لم يعطك ومن لم يهب فالفضل للمتفضل والشكر للمعطي الواهب. فمن صلى لغير الله الذي وهبه
كل شيء أو نحر لسواه فقد ضل عن سبيل ربه وعن سبيل عقله وعن حكم فطرته. وقد فسر أيضا في هذه الآية
بعض الأمر بالصلاة والأمر بالنحر كما قرن بينهما في الآية السابقة. وقد ذكروا أيضا هنا خلافا في معنى النحر في الآية
فقيل إن المعنى: وضع يده اليمنى على يده اليسرى تحت النحر. وروي هذا عن علي رضي الله عنه. ذكره كثير من المفسرين
وقال ابن كثير إنه لا يصح عن علي. وذكره صاحب مجمع البيان من الشيعة في تفسيره وضعفه وحكاه أيضا صاحب هذا
الكتاب منهم وضعفه بتضعيف صاحب مجمع البيان. وقيل المعنى: وارفع يديك عند افتتاح الصلاة وعند الركوع
وعند الرفع منه وروي فيه حديث مرفوع بإسناد مسلسل بالضعفاء رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن إبراهيم
القاضي عن إسرائيل بن حاتم المروزي عن مقاتل بن حيان عن الأصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب. قال الحافظ ابن كثير
ورواه الحاكم من هذا الطريق. وهذا الإسناد ضعيف جدا وإسرائيل بن حاتم متهم بالوضع والكذب ومقاتل بن حيان
مختلف فيه والأصبغ واه بمرة وقد اتهموه. وقد ذكر الحافظان الذهبي وابن حجر العسقلاني هذا الحديث في
الميزان واللسان وضعفاه وأنكراه. وكذا ضعفه وأنكره الحافظ ابن كثير في التفسير وأنكره جميع علماء
النقد. وقيل: إن المراد بالنحر استقبال القبلة بالنحر حكاه ابن جرير وغيره وحكاه هذا الشيعي في كتابه. وقيل
إن المراد رفع الصلب بعد الركوع والاعتدال وإبراز النحر. قال ابن كثير رواه ابن أبي حاتم عن عطاء الخراساني. وهذه
الأقوال الأربعة الأخيرة ضعيفة باطلة لا يصح منها شيء لنكارتها وغرابتها وشذوذها وبعدها عن المعروف
الواضح من لغة العرب وكلامها. أما القول بأن المراد وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت الصدر فشيء لا يعرف في لغة العرب
ولا في الخطاب بها ولا في كلام الشرع فلا يجوز تفسير كتاب الله به. وأما القول بأن المراد رفع اليدين حين افتتاح
الصلاة وحين الركوع وحين الرفع منه فالرواية فيه كما تقدم باطلة ساقطة والمتن ساقط أيضا ضعيف
منكر لأنه لا يعرف في لغة العرب ولا في كلام الشرع أن النحر معناه رفع اليدين في تلك المواطن المذكورة. وأما
القول بأن المراد استقبال القبلة بالنحر فلا يصح أيضا لأنه من المستحيل أن يفهم من كلمة "النحر" مطلقة مجردة كما هنا